ھرائسوا دیــروش François Déroche

خبه الكتابة حولهم خمائه معاهف الفترة الأ

ترجمة ومعطفى أمسو





www.tafsir.net



ولدفرانسواديروش François Déroche في متز Metz يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٢م، وهو مستشرق فرنسي متخصص في دراسة المخطوطات القديمة codicologie، والباليوغرافيا، أي: علم قراءة النصوص القديمة paléographie.

بدأ ديروش مشواره في المدرسة العليا للأساتذة سنة ١٩٧٣م، وحَصَلَ على شهادة التبريز في الآداب القديمة سنة ١٩٧٦م؛ مما خوَّل له الحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في علم المصريات égyptologie سنة ١٩٧٨م.

تقاعد عن عمله في المكتبة الوطنية الفرنسية، حيث كان يَشتغل على دراسة النصوص القرآنية بقسم المخطوطات.

حينما أتم دراسته الجامعية تولَّى ديروش التدريس في المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية بإسطنبول بين سنتي ١٩٨٣م و١٩٨٦م، ليُستدعى بعدها إلى سويسرا من أجل منحة عمل ضمن فريق علمي في مؤسسة ماكس فان برشمان Max van Berchem Foundation

ولدى عودته إلى فرنسا، زاول عمله بصفته مديرًا للدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، في قسم العصور القديمة والمخطوطات العربية بدءًا من سنة ١٩٩٠م.

يعمل فرانسوا ديروش عضوًا في أكثر من جمعية علمية، أهمها الجمعية الأسيوية، كما أنَّه عضو المجلس الإداري والمجلس العلمي للمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.



وقد تُوِّجَت جهوده في تصنيف المخطوط القرآني ودراسته في رحاب المكتبة الوطنية بباريس بمبادرة كوليج دي فرانس Collège de France، الذي أحدث الأول مرة كرسيًا لدراسة القرآن سمّي كرسي تاريخ القرآن: النصّ والنقل، لأول مرة كرسيًا لدراسة القرآن سمّي كرسي تاريخ القرآن: النصّ والنقل، فرانسوا ديروش سنة ١٥ ٢٠١م، وذلك إقرارًا منه بمركزية الموضوع في الدَّرس الاستشراقي والتاريخي المعاصر، واعترافًا بمكانة ديروش في هذا الحقل المهم.

نذكر من بين أهم أعماله:

○ ١٩٨٣ م: «دليل المخطوطات العربية»:

Catalogue des manuscrits arabes, fascicules 1 et 2, Bibliothèque nationale (France), département des manuscrits, Bibliothèque nationale.

۲۰۰۶ (الکتاب العربی المخطوط، مقدمات تاریخیة»:

Le Livre manuscrit arabe : Préludes à une histoire, Bibliothèque nationale de France, impr.

۳۰۰۶ – ۲۰۰۹م: «القرآن، ضمن سلسلة: ماذا أعرف؟» Le Coran, Que sais-je?, PUF.

٢٠٠٩: «النقل الكتابي للقرآن في بدايات الإسلام» (المخطوط الباريزينو بتروبوليتانوس):

La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam. Le codex Parisino-petropolitanus, Brill

۲۰۱٦ (الصوتُ والقلمُ»:

La Voix et le Calame, Fayard.





اجتَاحَ الدَّرسَ الاستشراقي مؤخرًا مَوجَةٌ مغالية من الباحثين الجدد ذوي المنزع التنقيحي Revisionists المعروف، من أمثال: وانسبرو، وباتريشيا كرون، ومايكل كوك، والذين اشتطوا في تبخيس قيمة الموروث الإسلامي شططًا غريبًا وَصَلَ بهم إلى ادِّعاء تأخُّر تَدوين النص القرآني إلى القرن الثالث الهجري، وتُعَدُّ إسهامات فرانسوا ديروش من أبرز الجهود العلمية المعاصرة التي خرجت من عباءة الاستشراق في مناقشة أصحاب هذا المنزع التنقيحي المغالي في التشكيك، وبيان خَطئه في دعوى التَّدوين المُتأخر للنصِّ القرآني، وهو الأمر الذي تَجَلَّى في عددٍ من مقالاته وأعماله العلمية، لا سيما كتابه الموسوم بـ: «النقل الكتابي للقرآن في بدايات الإسلام»، «La transmission écrite du Coran dans «les débuts de l'islam» الذي اشتغل فيه على المصحف الذي أُطلقَ عليه اسم: Parisino-petropolitanus، والذي يضمُّ بين دفتيه صحائف تتوزع أساسًا بين مجموعتين مشتهرتين: مجموعة باريس، ومجموعة سانت بيترسبورغ Saint pétersbourg والتي يُؤكِّدُ ديروش أنَّها تَعُودُ إلى القرن الأول الهجري. وتأتي أهمية ترجمة هذا المقال الذي بين أيدينا في كونها تَخْتَصِرُ العديدَ من آراء ديروش في هذا الميدان، وفي دحض تجديفات التنقيحيين المسرفين في الارتياب،

فهذه المقالة وإن لم يحاجج فيها ديروش أصحاب المنزع التنقيحي مباشرة ويُسَاجِلْ آراءهم، إلا أنَّه طَرَحَ فيها العديد من النظرات المهمّة والرئيسة، التي تُظْهِرُ خَطأ دعواهم بصورة بينة.

والتي بسطها في العديد من مؤلفاته وأعماله.

ومن جانب آخر فإنَّ هذه المقالة جاءت حافلة بالعديد من النظرات المهمّة حول المصاحف القرآنية المبكرة، وطبيعة خطوطها وأنماط كتابتها وطرائق تقسيمها ...إلخ، من النظرات التي يمكن أن تسهم إسهامًا جادًّا في إثراء مناقشة الكثير من قضايا علوم القرآن، التي تتصل برسم المصحف والرسم العثماني ومسائل عدِّ الآي وغير ذلك، كما أنَّ بها الكثيرَ من الملحوظات المهمَّة التي يمكن أن تُسْهِمَ كذلك بشدّة في إذكاء البحث المتعلق بالتأريخ للمصاحف، وتطور كتابتها وزخارفها...إلخ.

وإضافة لما سبق فإن ترجمة هذه المقالة التي تُسلط الضوء على النسخ المبكرة من المصاحف لها أهميتها في تنشيط البحث حول هذه المصاحف، التي لم تَنَلْ بعدُ حظَّها من الدرس في البحث المعاصر في القرآن الكريم وعلومه(١).



⁽۱) جدير بالنظر أنَّ هناك محاضرة مهمة في ذات الصدد للدكتور غانم قدوري الحَمَد حول المصاحف القرآنية المبكرة، طَرَقَ فيها العديد من سمات هذه المصاحف ودواعي دراستها، وانعكاساتها على علوم القرآن ومسائله، وهي موجودة ضمن اللقاءات العلمية لـ «مركز تفسير».





ورَدَتْ داخل هذه المقالة إيماءات ورموز لمجموعة من المصاحف لا يتأتَّى للقارئ مواكبة شروحات ديروش إلا بفهمها؛ لذلك أبدأُ بتعريفها تعريفًا مختصرًا، ممهدًا بها لنصّ الترجمة.

Parisino-petropolitanus أولًا: مخطوطة

هذه المخطوطة عبارة عن مخطوطة جزئية كانت مخزّنة مع مخطوطات أُخرى قديمة مطروحة في مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط، حيث وقع اكتشافها في نهاية القرن الثامن عشر؛ وذلك أنه خلال حملة بونابرت على مصر حصل المستعرب والطابع جان يوسف مارسيل (١٧٧٦-١٨٥٥م) (مام٥٦-١٧٧٦م) (Marcel على أول رزمة كبيرة من الصحائف folios، وعاد محملًا بها إلى فرنسا. بعد سنوات قليلة أقدم فرنسي آخر يُدعى جين لويس أسلين دو شار في فرنسا. بعد سنوات قليلة أقدم فرنسي آخر يُدعى جين لويس أسلين دو شار في المحاق سلفستر دي ساسي على شراء بضعة رزم أخرى من الصحائف، حينما إسحاق سلفستر دي ساسي على شراء بضعة رزم أخرى من الصحائف، حينما كان يشتغل نائبًا للقنصل في القاهرة، وبعد وفاته بيعت هذه الرزم مع بقيّة مجموعته من المخطوطات العربية إلى المكتبة الوطنية Bibliothèque nationale (التي كانت تُدعى حينئذ المكتبة الملكية الملكية عربية المكتبة الوطنية عالها (Bibliothèque royale).

:Marcel 13

أحد المصاحف المصنفة في المكتبة الوطنية بروسيا بسانت بترسبورغ Saint-Pétersbourg، وتعود نسبته إلى المستعرب جان يوسف مارسيل المذكور أعلاه.



ترجمات

ثاث: CBL 1404:

أحدالمصاحف المصنفة بمكتبة تشيستربيتي The Chester Beatty Library.

:Masahif Project رابعًا:

مشروع أطلقه الحجاج بن يوسف الثقفي بين سنتي ٨٤هـ، و ٨٥هـ، قصد ضبط قراءة القرآن.

خامسًا: Inv. 20-33.1:

أشهر المخطوطات القرآنية التي عُثر عليها بدار المخطوطات بصنعاء.







كنّا إلى زمن قريب نتحرج من أن ننسب مخطوطات قرآنيّة خاصّة إلى الأمويين؛ ذلك أنّ التعرف على نمط الكتابة المسمى (حجازي) يَرجعُ إلى القرن التاسع عشر، وصار من الثابت تقريبًا أنّ تاريخها يعود إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وإن لم يَرِد أيّ تحديد زمني أدقّ.

إنه من الثابت بالاتفاق أنَّ بعض المخطوطات ترجع إلى القرن نفسه، غير أن المُثيرَ للدهشة هو أنَّ هذه المخطوطات قد خلت من أي إشارة إلى الحكم القائم آنئذ.

ومن دون شك، فقد كان لفهرس معرضِ مصحف صنعاء المنعقد بالكويت (٢)، وقيام فون بوثمر H. C. G. von Bothmer بطبع أجزاء من نسخة فخمة هائلة وقيام فون بوثمر Inv.20-33.1) الأثر الكبير في التعجيل وجدت في صنعاء في الظروف التي نعلمها (١٥٤-102-33.1) الأثر الكبير في التعجيل بالعمل (٣)، كما أفضيا إلى التعرف على مخطوطات أخرى تعود للفترة نفسها، وبدّدا من ثَم التردد السائد آنذاك (١٠).

والعنوان الأصلى للمقالة هو:

Controler l'écriture.

Sur quelques caractéristiques de corans de la période omeyyade pp. 39-55.

M. Jenkins, A vocabulary of Umayyad ornament, in Maṣāḥif Ṣanʿaʾ, Koweït, Dār al-Athar (Y) al-Islāmiyyah, Kuwait National Museum, 1985, pp. 19–23(61, 39)..

H.C. von Bothmer, Architekturbilder im Koran. Eine Prachthandschrift der Umayyadenzeit (**) aus dem Yemen, Pantheon 45 (1987), pp. 4–20..

Fraser, M., and W. Kwiatkowski, Ink and gold. Islamic calligraphy, Londres, 2006, (§) p. 18-21; Dutton Y., An Umayyad fragment of the Qur'an and its dating, Journal of Qur'anic studies 9–2 (2007), p. 57-87.

⁽۱) نشر المقال ضمن كتاب: «القرآن: مقاربات جديدة» Le Coran: Nouvelles Approches من مطبوعات المركز الوطني للبحث العلمي بباريس CNRS، والذي أعدَّه وأشرف عليه مهدي عزيز .Mehdi Azaiez



كان للمقابلات القائمة الزخارف الملونة في هذه النسخة والفن الأموي وزنٌ، ولا شك في هذا التطور الحاصل.

أجل لقد كان لتاريخ الفن دور أساسي يعززه التأريخ باستعمال الكربون (C14) الذي يدعم تزايدُه النسبي رأيَ أنصار تاريخ قديم لبعض المصاحف(۱). وقد تصدَّى لهؤلاء بشدة ويلان E. Whelan(۳).

وقد قُدِّر لي أن أُعلق على بعض الحُجج المتداولة في هذا السياق، وأرى أن وجهتَيْ نظر هذين المختصين لم تعد لهما أي قيمة تذكر.

لقد بات من الواضح البين - بفضل معارفنا التي لا تفتأ تزداد دقةً، لا بالمصاحف وحدها فحسب، بل بالمصادر أيضًا - أنَّ فترة الأمويين كانت شاهدًا على انقلاب حقيقي في مجال النقل الكتابي للنصّ القرآني.

حاول عمر حمدان في عمله حول الحسن البصري أن يُثبت ما أسماه «مشروع مصاحف» «Maṣahif Projekt» للحَجاج (٤)، كان هذا الأخير يسعى إلى ضبط النص متوسلًا لهذه الغاية بإحصاء أحرف القرآن وكلماته وآياته، وتقسيمه تقسيمًا فريدًا، وتوزيعه خاصةً إلى مجموعات من خمس آيات، أو عشر آيات (٥).

⁽١) اقرأ خاصة:

H.C. von Bothmer, , Karl-H. Ohlig and Gerd-R. Puin "Neue Wege der Koranforschung," Magazin Forschung 1 (1999), Magazin Forschung 1 (1999,)p. 45.

واقرأ بصفة أخصّ:

Rezvan E., On the dating of an "'Uthmanic Qur'ān" from Saint Petersburg, Manuscripta Orientalia 6–3 (September 2000), pp. 19–22..

Whelan E., Writing the word of God I, some early manuscripts and their milieu, Part I; (Y) Ars Orientalis 20 (1990),p. 113-147..

Blair, S., Islamic calligraphy, Edinburgh University Press , 2006, p. 108.. (*)

Hamdan O., Studien zur Kanonisierung des Korantextes. Al-Hasan al-Başris Beiträge (¿) zur Geschichte des Korans, Wiesbaden, 2006, Harrasowitz, 2006.p. 146-148..

Ibid. (o)



كما عمل الحجاج على تيسير قراءة رسم النصّ القرآني من خلال إضافة النقط، وتعديل الرسم في بعض المواضع (١).

ماذا عسانا أن نقول حين نفحص بقايا الإنتاج المخطوطي للفترة الأموية؟ سأبدأ بذكر نقطة منهجية أقف عليها قبل أن نمضي بعيدًا.

إنَّ التأريخات التي سَأْشَخِّصُها تعود إلى مصادر متباينة:

- فهناك نتائج الكربون C14 للرقاق (Parchemins).
- وهناك تحليل الكتابات المستند إلى علم قراءة النصوص القديمة (التحليل الباليوغرافي).
 - 🔾 وثمة أيضًا دراسة الزخرفة وفق قواعد تاريخ الفنّ.

بيدَ أنَّ هذه المخطوطات لا تقدم أيًّا من هذه التأريخات بشكلٍ مباشرٍ وصريحٍ وعلى هيئة بيانات نشر خاصّة.

لهذه النقطة أهميتها؛ فبسببها يظل تسلسل الأحداث تاريخيًّا أقلَّ دقّة عند تناول فترة تمثل على نحو حاسم أقل من قرنٍ بشكل يسيرٍ.

إنّ ظواهر تداخل أنماط من الخطوط، أو تعايشها سوف يجعل تمييزها أمرًا غاية في الصعوبة؛ ولذلك كان توجهنا التلقائي إلى التبسيط والاستدلال وفق خطاطة أفقية.

ومن جهة أخرى، ثمة مُعطى آخر ذو أهمية، فالجغرافيا ما تزال خارج نطاق مقاربتنا تمامًا، إذ على الرغم مما نعلمه عن انتشار النص (القرآني) ووجود مدارس محددة على أسس جهوية أو محلية؛ فإنه من المتعذر علينا حاليًا أن نعرفَ على وجه الاستيقان الأماكن التي جرى فيها نسخ مختلف المخطوطات التي سأعرضها.

Ibid. (1)



لا جرم، فالأماكن التي خُفظت فيها المخطوطات طويلًا (دمشق، والفسطاط، وصنعاء، والقيروان) تخبرنا عن تاريخ هذه المخطوطات، لا عن أصولها ومصدرها.

لم تشكل بعدُ المخطوطات من النمط الحجازي موضوع دراسة منظَّمة، وإن كان تاريخها قد بدأ يشق طريقه إلى مزيد من التدقيق^(۱)، والتاريخ الذي يدلّ عليه إخضاع مصحف صنعاء للكربون ١٤ يغذي فكرة قدمها، وإن كان من الضروري موازنة النتيجة المُتوصَّل إليها^(۱).

من أبرز المعطيات إثارة للاهتمام داخل حقل علم قراءة النصوص القديمة والتي لا يخالطها ريب؛ التنوعُ النسبي لهذه المجموعة من الأجزاء، فعلى ما يطبعها من «جوّ عائلي» إلا أن حيثيّات وتفاصيل الإنجاز شديدة التنوع بشكل غير عادي.

إنّ مصحف باريزينو بِتروبوليتانوس Parisino-Petropolitanus الذي تتوزع صحائفه المعروفة في يومنا هذا بين أربع مجموعات تنتمي إلى مجموعة

Dutton Y., «An early muṣḥaf according to the reading of Ibn ʿĀmir», Journal (1) of Qurʾanic studies, 3 (2001), pp. 74–84.

وأيضًا:

«Some notes on the British LibraryL's "Oldest Qur'an manuscript" (Or. 2165)», Journal of Qur'anic studies 6 (2004), pp. 43–71. Rabb I.A., Non-Canonical Readings of the Qur'ān: Recognition and Authenticity (The Ḥimsī Reading), Journal of Qur'anic Studies, vol. 8, no. 2, 2006, p. 84-127. F. Déroche,

La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam.Le codex Parisino-petropolitanus,] Leiden-Boston, 2009.p.157..

(٢) في اتصال شخصي مع Sadeghi B. ينبغي أن نسجل ها هنا أن نتائج التأريخات ينبغي أن تعالج بحذر، وبطريقة ذاتية جدًّا، لديّ شعور أن التواريخ المحصل عليها بعد الموازنة تميل إلى أن تكون أعلى [أي أوغل زمنًا] مما هي عليه المصاحف نفسها في الواقع، دون أن يتعلق الأمر بالفرق الزمني بين صناعة الرقاق ونقل النصّ.



صغيرة، القاسم المشترك بينها أنَّها ثمرةُ عمل نسخٍ مشترك (۱۱)، والنماذج التي بحوزتنا تتعلق عمومًا بناسخَيْنِ أو ثلاثة، وفي حالة مصحف -Parisino بحوزتنا تتعلق عمومًا بناسخين أو ثلاثة، وفي حالة مصحف -Petropolitanus فإنَّ خمسة ناسخين سنرمز لهم بالأحرف من (\mathbf{A}) إلى هم الذين شاركوا في نسخ القرآن.

إننا نملك شهادة أكيدة واستثنائية في آنٍ واحدٍ عن مزاولة هذا النمط من الخطوط في مكانٍ واحدٍ، على الرغم من أن تحديد مكان النسخ يظلّ مسألة شائكة.

من جهة أخرى، فالفرضيات التي قيلت حول أصل الخطاطين، ومن ثَم حول الأماكن التي تعلموا فيها الكتابة تَحظى جميعها بالقبول، ومن الجائز بالمقابل أن يكونوا منحدرين من بيئات مختلفة.

ومن الواضح أنه إذا كان « \mathbb{C} »، و« \mathbb{D} » بارعين في الكتابة حاذقين لها؛ فإن « \mathbb{E} » أقل مهارة بشكل كبيرٍ.

من جهة أخرى، لا يستتبع كونُ المصحف مستجلبًا من مصر «حيث عُثر عليه في الفسطاط» أن يكون قد وقع نَسْخُهُ هنالك.

تنبئ المقارنة بين مختلف الخطوط عن تباين شديد جدًّا بين أشكال الحروف، وليس ذلك هو المظهر الوحيد للتباين؛ ففي هذه النسخة التي أُنجزت من خلال تطوير إملاء ناقص جدًّا؛ فإن مختلف المتدخلين كانت لهم آراء متباينة بخصوص الإملاء واستعمال النقط، بل وحتى حول وضعية البسملة أيضًا(٢).

نجد أنه قد أُشير إلى نهايات الآيات -في مجموع الأجزاء التي تنتمي إلى هذه المجموعة - بقدرٍ عالٍ من العناية، وذلك عبر مجموعات من النقط يتطلب إنجازها زمنًا قصيرًا بلا شك، ولكنه زمن حقيقي سعيًا وراء مزيد من الضبط.

F. Déroche, La transmission, op. cit., p. 127-130..(1)

Ibid., p. 31 et suiv.. (Y)

وبالمقابل، فإن المجموعات المكونة من خمس آيات أو عشر آيات لم تجْرِ الإشارة إليها، وإذا ما ظفرنا بإشارة من الإشارات فإنَّما هي إضافات لاحقة وضعها الذين جاؤوا من بعدهم.

يمكن التعرف على السور من خلال خطّ فاصلٍ عبارة عن بياض، ولا نجد في الأصول إشارة إلى العنوان.

يميل ضبط حيز الكتابة (Justification) إلى تغطية مجموع المساحة الصالحة للصحيفة، غير تارك عمليًّا أي هامش فيها.

وها هنا ملاحظة نوعية تتعلق بالزخرفة والكتابة، وتخول إحداث تمييز واضح بين هذه المخطوطات، وتلك التي سنفيض في الحديث عنها. إنّ المظهر العام لهذه الأخيرة قد عرف تحولًا يستتبع تعديلًا عميقًا على مستوى المتدخلين وتكوينهم.

تمنح الزخارف علاوة على ما سبق مؤشرًا زمنيًّا مهمًّا؛ إذ أنَّها تستعمل نفس المعجم التزييني الذي نجده في معالم الفترة الأُموية وأشيائها.

وهكذا غدا من الميسور تكوين مجموعة أولى أعظم نماذجها مصحف سانت بيترسبورغ Saint-Petersbourg الذي يوجد بالمكتبة الوطنية بروسيا (مارسل ١٣)(١)، هذا المجموع المتشكل من أربع وستين صحيفة جيء به من الفسطاط على غرار مصحف Parisino-Petropolitanus.

تصلُ أبعاد المصحف إلى ٣٧ سم على ٣١ سم، وتتوزع فيه الكتابة بمعدل ٢٥ سطرًا في الصفحة، ويُشكِّلُ النص حوالي ربع القرآن.

F. Déroche, «Colonnes, vases et rinceaux. Sur quelques enluminures d'époque (1) omeyyade», Académie des inscriptions et belles-lettres, Comptes rendus des séances de l'année 2004 [2006], pp. 227–264..

وبناءً عليه، فإنَّ المخطوط كان يَضُمُّ لا محالة حوالي مائتين وخمسين (٢٥٠). ورقة، وهو ما يمثل مساحة تربو قليلًا على ثمانية وعشرين مترًا مربعًا (28m²).

أمَّا ما عدا ذلك فينبئ عن وضعية مركبة بالنظر إلى الاختلافات الكبيرة من ورقة لأُخرى، بل من صفحة يمنى إلى صفحة يسرى، دون أن يخضع هذا الاختلاف لتنظيم منسجم يشمل على سبيل المثال المجموعات المتتالية التي من المفترض أن يكون قد قام على تحريرها مختلف المتدخلين.

نجد هذا بصفة خاصّة في حالة مجموعات الآيات التي أشير إليها عبر نظامين: الأول: وهو الغالب الأعم؛ حيث نجد دائرتين مشتركتين في المركز، إحداهما حمراء والأخرى سوداء، رسمتا بخشونة كبيرة بقصد الإشارة إلى العشرات.

والثاني: وهو قليلٌ نادرٌ؛ حيث نجد حروفًا ذات دلالة عددية (نظام أبجد) مُذَهّبة، رسمت حوافها بالمداد مشيرة إلى المجموعات التي تمضي أرقامها بوتيرة خمسة (٥، ١٠، ٢٠، ١٥،٢، وهلم جرَّا).

يفصل أحيانًا بين السور بعضها عن بعضها شريط مزخرف، وقد أضيف اسم السورة وعدد الآيات على نحو منتظم.

كما تبدو الاختلافات بالنظر إلى مصحف Parisino-Petropolitanus قد رأينا ما يتصل بالزخرفة والكتابة، ونضيف ها هنا –من زاوية شكلية حضور هوامش معبرة، وهو ما يُعَدُّ تطورًا محسوسًا بالنظر إلى الاستعمال الرائح للنسخ المنتمية إلى الطراز الحجازي. كما نجد أنَّ استعمال خطوط أفقية تملأ نهاية السطر –وهو الأمر الذي يبدو مجهولًا لدى نُسَّاخ المصاحف المنتمية إلى نفس مجموعة مصحف Parisino-Petropolitanus قد صار منتظمًا؛ وذلك حين صارت التمديدات الأفقية (مشق) [المَشْقُ كما في الصحاح هو جذبُ الشيء ليمتدَّ ويطول، وفي «القاموس المحيط»: مشق الخط يمشقه مشقًا: مده]



لا تسمح بمظهر صافٍ للعمود الأيسر في الإطار المخصص لضبط الكتابة (Cadre de justification) أما الإملاء القرآني فينمُّ عن إصلاح شرع في زحزحة عدد من الأشكال المرتبطة بطرق الكتابة الناقصة.

سأُعيد تجميع الملاحظات بخصوص هذه الناحية فيما يأتي، لكنني أرى من المناسب أن أُشيرَ من الآن إلى الطابع غير المكتمل لهذا التطور.

بعض الأوراق المصنفة تحت وسم «330c» «Arabe» والمحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية (BNF)، والقادمة هي الأخرى من الفُسطاط؛ نَجدُها تَنْطوي على خصائص تتلاءم على نحو قريب جدًّا من خصائص أوراق مارسيل ١٣، إلى درجة تحملنا على الاعتقاد بأنَّ الأمر يتعلق بنفس المخطوط (٢٠؛ ذلك أننا نجدها فعلًا قد نُسخت بمعدل خمسة وعشرين سطرًا في الصفحة الواحدة وبكتابة مشابهة، كما نجد الآيات العشرية قد وُسِمت في بعض أوراق مارسيل ١٣ بنفس الحرف العددي المُذَهَب.

سأقدِّمُ على جناح السرعة بعض الأجزاء من نفس المجموعة؛ لكي أُوضح بشكل أساسي ظهور معيار خطِّي في فترة جيل واحد.

إنه من الصعب أن نُفضي إلى يقين بخصوص أصل هذه المخطوطات؛ فقد تكون مستقدَمة من مخزن الفسطاط أو مخزن دمشق (٣)، ولا نملك للأسف

⁽١) استعملت أيضًا - لكن نادرًا - داخل تهيئة الصفحة قصد مل الفراغات الناشئة عن المرور إلى مستوى سطر في أقصى الأسفل لأحرف مثل القاف والعين النهائيتين، والواقعتين على السطر الأعلى، وعندما تعجز الكلمات الواقعة بالجوار أن تغطي الفراغات المتاحة؛ فإنَّ خطًا دقيقًا شبيهًا بالخطوط الواقعة في نهاية السطر يمكن أن يُقحم؛ إما قبل العائق، أو بين نهايتين سفليتين، فيتوسط بينهما بمسافة يسيرة جدًّا.

F. Déroche, Les manuscrits du Coran: Aux origines de la calligraphie coranique (Y) [Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/1], Paris, 1983, pp. 144–145.n°268..

F. Déroche, New evidence about Umayyad book hands, in Essays in honour of ($^{\circ}$) Salāh al-Dīn al-Munajjid [al-Furqan publication, n. 70], Londres, pp. 611–642..



فهرسًا لمخطوطات صنعاء لننظر إن كان هذا النوع موجودًا بها أم لا، لكنني أعلم بالمقابل أنه لا يوجد منها نظيرٌ في القيروان.

يوجد في المجموعة ذات الأصول الدمشقية بمتحف الفنون الإسلامية التُركي عددٌ من الأوراق التي كُتبت بنفس خطوط مارسيل ١٣، أهمها هو الموسوم بالرمز (ŞE 321) (١)، وهو عبارة عن مجموع مكون من ثمانية وسبعين ورقة، تتوزع في يومنا هذا بين مختلف أرقام الكتب، ويبلغ قياسها (٢٣ سم × ٢٤ سم).

عدد الأسطر في الصفحة لا يسيرُ على نحو مُنتظم، ويتراوح بين ١٨ و ٢٦ سطرًا، وعلى الرغم من وجود زخارف ملونة بين السور خالية من الإشارة إلى اسم السور؛ فقد لا يكون الأمر متعلقًا بنسخة موجهة للاستعمال العام. وخلافًا للمصاحف المعاصرة الأخرى، لا نجد إشارة إلى مجموعات الآيات، أو على أدنى تقدير لأصولها، وتستتبع كتابتها وزينتها على حدٍّ سواء انخراط عدد من المتدخلين في إنجاز هذه النسخة كما هو ظاهر حال نسخة مارسيل ١٣.

تشتمل مجموعة دمشق -إلى جنب هذه النسخة- على عدة مخطوطات قرآنية ذات حجم متوسط، صُنعت بطريقة متواضعة، ولم تُحَلَّ بالزخرفة بمعناها الحقيقي، أشير من خلال هذا إلى المخطوط الموسوم بوسم (\$186\$) (من الحقيقي، أشير من خلال هذا إلى المخطوط الموسوم بوسم (\$177 \ ٢١ × ١٥سم) الذي تنتشر فيه أشرطة مدادية بين السور، فيما ملئت نهايات الآيات بخطوط صغيرة. ومع أنَّ الآيات منفصلة بعضها عن بعض الا أننا لا نجد علامات تشير إلى مجموعات الآيات. في حين يشكل المخطوط الموسوم (\$4806\$) (من ١٩ إلى مجموعات الآيات وحدها، يليها أحيانًا خطوط خاصيتها أنه لا يوجد في بداية السورة إلا البسملة وحدها، يليها أحيانًا خطوط صغيرة، ولا تظفر بإشارة في هذا المخطوط إلا إلى الآيات وحدها.

F. Déroche, New evidence about Umayyad book hands, in Essays in honour of (1) Salāh al-Dīn al-Munajjid [al-Furqan publication, n: 70], Londres, , pp. 611–642...

نجد مخطوطين آخرين بخصائص قريبة جدًّا، وأَعْنِي المخطوطين (6277\$) و (6277\$) و (5270) اللذين تتوزع فيهما الكتابة بوتيرة ستة عشر (١٦) سطرًا في الصفحة، وتبلغ قياسات أبعادهما ٢٥ × ١٧ سم.

تُرك في المخطوط الأولِ فضاءٌ واسع فارغ بين السور، ولا وجود في السطر الأول من السور إلا للبسملة وحدها، فيما تتوالى الآيات منفصلة بعضها عن بعض، مع الإشارة إلى مجموعات الآيات.

أما في المخطوط الثاني فإنك تجد الأسطر الثلاثة الأخيرة التي تنتهي بها السور قد كُتبت بالأخضر، فيما كُتبَت البسملة وحدها في بداية السورة الموالية بلون أحمر، وكُتب السطران التاليان للبسملة بالأحمر والأخضر. وبينما نجد الآيات قد رُقِّمت، فإنَّ مجموعات الآيات التي تسير بوتيرة خمس آيات أو عشر آيات قد عُينت بأحرف عددية [نظام أبجد].

يوجد من هذه المجموعة نفسها قطعتان أُخريان لهما نفس أبعاد مارسيل 10° يتعلق الأمر بادئ ذي بدء بالمخطوطة الموسومة برمز (10° في الذي يبلغ قياس أبعاده 10° سم 10° بالمنفوطة الصفحة منه خمسة وعشرين 10° سطرًا، في السطر الأول من السورة لا تجد إلا البسملة وحدها، وخطوطًا متقطعة تتم ملء الفراغ المتبقي في السطر. نجد في آن واحد أنَّ السور منفصلة بعضها عن بعض، كما نجد الإشارة إلى مجموعات الآيات.

أمَّا القطعة الثانية فهي الموسومة برمز (EŞ 71) يتعلق الأمر مرة أخرى بنسخة تضمُّ خمسة وعشرين سطرًا في الصفحة، بأبعاد تصلُ إلى 13 سم 3 سم، نجد فيها شريطًا مداديًّا بين السور، وفصلًا بين السور بعضها عن بعض، أما الإشارة إلى مجموعات الآيات فقد أُضيفت لاحقًا.

⁽١) يتعلق الأمر بالخط F. Déroche, La transmission, op. cit,pp., 39-41 et pl. 7-85) D في بعض الأجزاء التي نوهنا بها، يذكرنا انحناء الألف على نحو واضح بالنمط الحجازي.

كلّ هذه القطع آخذة طريقها إلى الضم، ولأجل ذلك لم يكتمل بعدُ جمع المعلومات الضرورية عنها، لكنني أرجو فقط أن أُلحّ ها هنا على حقيقة أنه على الرغم من أن عددًا من المخطوطات من هذا النوع في مجموعة دمشق تُماثل على وجه الإجمال النسخ ذات الطابع الحجازي؛ فإنَّ الانسجام القوي الذي يَميز خطوطها يقعُ في تضاد مع مخطوطات الطابع الحجازي.

لا يتعلق الأمر بعمل ناسخ واحد؛ إذ الاختلافات الحاصلة تستبعد هذه الفرضية، بل الأمر يتعلق بخطوط مُختلفة تستخدم نفس الدليل، فهذا النوع من المخطوطات يعكسُ علاقة استمرار مع الكتابات التي أدر جناها تحت مسمى «حجازي».

إنَّ إحدى الخطوط الواقعة ضمن مصحف Parisino-Petropolitanus (۱) قريبةٌ نسبيًّا من الأسلوب الذي نحن بصدده، ويمكن أن ندرج بعض المصاحف التي أتينا على الإشارة إليها للتوِّ في إطار وضع انتقالي.

ثمة مجموعة ثانية من المخطوطات القرآنية الأموية تتميز بكتابة أكثر سُمكًا وكثافة، وبحجم ووزن ضخم، أشهرها بالطبع هو الذي جرى اكتشافه في صنعاء، ونشره أساسًا فون بوثمر؛ حيث تشتمل أوراقه -التي تصل أبعادها إلى (٥١ سم × ٤٧ سم) - على عشرين سطرًا بحرف متميز بشكل واضح عن الحرف الذي أتينا على ذكره، الآيات منفصلة بعضها عن بعض، وقد وقعت فيه الإشارة إلى المجموعات التي تسير بوتيرة خمسة، وتلك التي تتقدم بوتيرة عشرة، الأولى من خلال «هاء» مُذَهَّبة، والثانية من خلال دائرة تضم حرفًا عدديًّا، وسيكون من الضروري التحقق من معاصرتها للنسخة أو عدمها، يفصل بين السور أشرطة كانت في الأصل خالية من الإشارة إلى العنوان، وكانت تميلُ إلى شغل المساحة الكلية، وكان الناسخ كلَّما صادف نهاية سطر فارغة سارع إلى رسم خط صغير.

H.C. von Bothmer, op. cit.. (1)



كانت تقدر صفحاتُ المخطوط حسب فون بوثمر بـ ٥٢٠ ورقة، وهو ما يتناسب مع مساحة رقاقٍ تبلغ ١٢٥ مترًا مربعًا تقريبًا(١)، ومن خلال التأريخ للرقاق باستعمال طريقة الكربون ١٤ فإن تحديدها الزمني يتراوح بين ١٥٧م، و ٢٩٠م، و هو التحديد الزمني الذي عدَّله فون بوثمر مُقترحًا تحديدًا يقع خلال نهاية القرن الأول [الهجري]، أي بين ٢٧١م، و ٢٧٩م(٢).

إنَّ جزءًا كبيرًا من مصحف محفوظ بمكتبة دبلين (ChesterBeatty)، وهو المخطوط الموسوم بالرقم ١٤٠٤، يوحي على نحو دقيق جدًّا بطريقة كتابة قرآن دار المخطوطات، (Inv. 20-33.1) بصنعاء، والأوراق المائتان وواحد ٢٠١، والتي يبلغ قياسها ٤٧سم × ٣٨سم قريبة جدًّا عمومًا من مصحف صنعاء، حيث والتي يبلغ قياسها ٤٧ سم × ٣٨سم قريبة جدًّا عمومًا من مصحف صنعاء، حيث كتب النصّ بوتيرة عشرين سطرًا في الصفحة، والسور منفصلة بعضها عن بعض عبر أشرطة تتوافق على غرار ما هو في المخطوط السابق، مع الحيز المتروك خلوًّا من الكتابة والمفتقر إلى العنوان. الآيات هي الأُخرى منفصلة بعضها عن بعض، كما تُظهر صور هذا المخطوط التي نشرها ب. موريتز B. Moritz سنة ما ١٩٠٥ م وجود دوائر رُسمت بالمداد لتعيين الآيات العشرية، في هذه الحالة أيضًا يتوجب التحقق من كونها معاصرة للنسخة. يستعمل الناسخ خطوطًا رقيقة للتعبئة في نهايات الأسطر، كما تَظهر بجلاء علامات التشكيل وإن كان عددها محدودًا، نوى أيضًا تصويتًا (أي تحويل حرف صامت إلى مصوت)، لكن لا يبعد أن يكون نما أضف لاحقًا.

⁽١) نفسه، ص: ٥. ينبغي أن نراجع هذا التقدير بدلالة النصوص المحفوظة، وقد عملنا من جهتنا على تقييم انطلقنا فيه من صورة صفحة نصِّ، وحصلنا على نتيجة أقل من التي أدلى بها بوثمر، ولكنها عظيمة بالمقارنة مع المخطوطات التي تحدثنا عنها آنفًا.

H.C. von Bothmer, , Karl-H. Ohlig, et Gerd-R. Puin, op. cit.,p. 45.. (Y)

A.J. Arberry, The Koran illuminated, Dublin, 1967.n. 206, pl.; James D. L., Qur'ans (Υ) and bindings from the Chester Beatty Library, A facsimile exhibition , [s. l.],1980, p. 23, n °10..



يندرج مخطوط آخر محفوظ بدار المخطوطات، (Inv. 01-29.2) بصنعاء على نحو نسبي جدًّا في إطار هذه المجموعة، تبلغ أبعاد أوراقه حوالي وعسم × ٣٤ سم. وقد نُقل –على غرار النماذج السالفة – بوتيرة عشرين سطرًا في الصفحة، لكن النصّ في هذه الحالة يظهر داخل إطار، ترتسم أشرطة فاصلة بين السور مفتقرة إلى أيّ إشارة إلى العنوان، كما تَميلُ إلى ملء المساحة المتوفرة. في هذه الحالة أيضًا، فإننا لا نتوفر إلا على قدرٍ محدودٍ من المعلومات؛ ذلك أنَّ في هذه الحالة أيضًا، فإننا لا مخطوط Parisino-petropolitanus، كما هو الشأن بمخطوط Parisino-petropolitanus، كما هو الشأن بالنسبة لمصحف صنعاء.

يمكن أن نضيف ها هنا مخطوطًا محفوظًا بالقيروان إلى هذه المجموعة من القطع التي تُجلي تاريخ النقل الكتابي زمن بني أمية (٢)، خلافًا للنسخ السابقة التي تشترك في هيئة كاف معزولة أو واقعة في ختام الكلمة، والتي تتميز بتمديد في الخط السفلي من الحرف بعد النقطة التي توجد في بداية ذيله العمودي، نجدُ أنَّ هذه النسخة تتميز برسم للكافِ يتساوى طول فرعيها المتوازيين السفلي والعلوي.

هل يا تُرى يتعلق الأمر بتقليد كتابي آخر موازٍ له هيئةٌ كافٍ ذاتِ فرع سُفلي ممدد، أو يتعلق الأمر بشاهد تالٍ؟ السؤال مفتوح.

في هذه الحالة أيضًا يتعلق الأمر بنسخة تشتمل على عشرين سطرًا في الصفحة، بقي منها مائتان وتسع صفحات، بأبعاد ٤٩,٥ سم × ٤٣ سم، وهو ما يستتبع أن

⁽۱) انظر: ,Masahif San'a', p. 48, n°35 ، حيث يحمل الرقم: ٢٠-٢٠, انظر كذلك:

Piotrovsky, M.B., and J. Vrieze eds. Earthly beauty, heavenly art. Art of Islam, Amsterdam, 2000. De Nieuwe Kerk, 2000. p. 104-105, n° 42-43..

Landes, C., and H. Ben Hasseneds, Tunisie: du christianisme à l' islam. IVe-XIVe (Y) siècle, Paris, Lattès, 2001, p. 195 et pl, des p. 214-215..

يكون الأصل مشتملًا على حوالي ثلاثمائة وسبعين صفحة، وهو ما يتناسب مع مساحة رقاق تبلغ ثمانية وسبعين مترًا مربعًا 78m².

وكما في المثال السابق، فإنَّ النصَّ قد وُضعَ داخل إطار تتنوع زينته، وإن كانت هذه الزينة تستعيد في الغالب زخارفَ على شكلِ أهدابٍ حلزونية داخل شريط. وعلى نحوٍ مثيرٍ جدًّا للاهتمام نلاحظ في الصفحة اليمنى الأولى والمبتورة جدًّا للأسف حضور زخرفة أساسية دائرية تُذكّرُ بالزخارف الملونة الأصلية في مصحف صنعاء، بيد أنها جاءت في أبسط أسلوب.

نجدُ الآيات منفصلة بعضها عن بعض، ونرى مجموعات الآيات التي تمضي بوتيرة خمسة أو عشرة محددة على نحو واضح. وإذا كانت تفصل بين السور أشرطةٌ فإنَّها لا تشير لا إلى عنوان السور ولا إلى عددِ الآيات، فيما يُتم الناسخ أحيانًا نهاية السطر بخطّ دقيق أفقي، لكن ذلك لا يُمثِّل سمة غالبة، وحجم هذه الخطوط يظلّ ضئيلًا ومحدودًا.

تَطَوَّر اللجوء إلى خطوط التشكيل تطورًا كبيرًا، وإن كان يتباين من مخطوط لآخر، ونَستطيعُ أن نلاحظ وجود نظام تصويتٍ خاص، تميزه خطوط دقيقة وحمراء.

آن الأوان لنعود إلى مسألة الإملاء القرآني: في بعض المخطوطات مثل مارسيل ١٣، أو ŞE 321 تظهر تنافرات صوتية في طريقة تناول الكلمة الواحدة، مثال ذلك كلمة (قال)؛ حيث نجدها أحيانًا قد كتبت بإملاء ناقص Scriptio مثال ذلك كلمة (قال)، وأحيانًا تكتب بإملاء يُضاهي الصيغة الراهنة، يمكن أن تُردَّ هذه الظاهرة إلى الممارسة الشخصية للنسَّاخ المختلفين، كما هو الشأن بالنسبة

F. Déroche, « Un critère de datation des écritures coraniques anciennes: le kāf final () ou isolé», Damaszener Mitteilungen 11 (1999)]In memoriam M. Meineche[, pp. 87–94 and pl. 15–16..

لمصحف Parisino-petropolitanus. إلا أن إخضاع أساليب الكتابة لمعايير موحدة يحول دون سهولة التعرف على الانتقالات المحتملة من خطّ إلى آخر في النسخة الواحدة.

في غياب دراسة شاملة للإملاء القرآني في هذه الفترة؛ فإنَّه يتعين علينا أن نأخذ نقطة مرجعية وحيدة، وهي مصحف petropolitanus، سأستعيد المنهجية نفسها التي توسلت بها سابقًا لحصر توجهات نُساخ هذا المخطوط، مستعملًا خمسة جذور تتردد على نحو وافر بما يسمح بإجراء مقارنات، سأُعطي بعض الإشارات العامة، مرجئًا دراسة المسألة دراسة مفصلة إلى فرصة أخرى.

أما مخطوطنا الأول، مارسيل١٣، فثمة تعديل إملائي قيد الإعداد. لا يوجد ثمة تعديل بخصوص الجمع «آيات»، لا فيما يتصل بنهاياتها «ات» التي لا تظهر في الرسم، ولا في الشكل ذي ثلاث أسنان صغيرة الذي يظهر عندما يَرِدُ هذا الجمع مسبوقًا بالحرفين «بِ»، أو «لِ». الأمر نفسه نجده سائدًا في كلمة «شيء» التي تشتمل على ألف alif بعد حرف الشين، أو كالذي نَجدُهُ في أغلب الحالات في جمع «عباد» بغضّ النظر عن التصحيحات اللاحقة. بالمقابل نجدُ كلمة «قال» قد كتبت كتابة مكتملة «en scriptio plena»، وهو ما لا نجده على نحو منتظم بخصوص جمع الغائب: اكتشفتُ كثافة قوية جدًّا للكتابة الناقصة نحو منتظم بخصوص جمع الغائب: اكتشفتُ كثافة قوية جدًّا للكتابة الناقصة ومن الأوراق، وهو الأمر الذي يُمكنُ أن يتناسب مع تغير الناسخ أو الكاتب «changement de main»، وأخيرًا نَجِدُ لفظة «عذاب» قد انتقلت إلى الكتابة المكتملة «scriptio plena».

في (SE 321) نجد الترقي إلى الكتابة المكتملة يُترجم عَبرَ هجر في رقي الكتابة المكتملة يُترجم عَبرَ هجر حوالي نصف الأشكال المتصلة بالنمط الحجازي؛ في صفحته ٥٧ حوالي نصف الأشكال المتصلة بالنمط الحجازي؛ في صفحته ٥٦ (f. 56 $^{\circ}$) $^{\circ}$ 0 (f. 56 $^{\circ}$ 0) من مصحف Parisino-petropolitanus نجد الناسخ قد



كتبَ مرتين «ق (۱) لَ» «q(ā)la»، و «الع (۱) لين» «al-' (ā)līn»، و «عب (۱) دك» كتبَ مرتين «ق (۱) لَ» «amla ('a)nna»، و «أملأنَّ» «ib(ā)daka» مما يدلُّ على أنَّ الإملاء الناقص scriptio defectiva لم يزل له مكان بجوار خمس مناسبات لـ «قال» «qāla» بالألف، وذلك خلافًا للنسخة الحجازية.

وفي الصفحة ٢٤ (13: 7-13) وفي الصفحة ٢٥ (أشكال العصرية r^{o} (f.57 r^{o}) (29: 7-13) وفي الصفحة ١٤ ($atq\bar{a}lahum'$ » و«أثقالهم» « $atq\bar{a}lahum'$ » و«أثقالهم» ($atq(\bar{a})l^{an}$ » و«أثقاله» « $atq(\bar{a})l^{an}$ » و«أثقاله» « $atq(\bar{a})lihim$ ».

لا نملك من مخطوط دار المخطوطات (Inv. 20-33.1) إلا بضع نسخ معادة ليس بوسعها أن تَهَبَ لنا سِوى نظرةٍ محدودة عن الإملاء.

لقد غزتِ الكتابةُ المكتملة Scriptio plena نطاقًا واسعًا بالمقارنة بمصحف Parisino-petropolitanus و يُمكن النماذج السابقة، ويُمكن أن نُسجِّلَ من بين الكلمات التي تصلح خيطًا موجهًا لهذه الملاحظات كلمتي «عذاب» و «عبادي» اللتين كتبتا بالألف. وبالمقابل يظل الجمع «آيات» في توافق مع الممارسة النمطية للنسخ بثلاث أسنان صغيرة عندما يسبقها الحرفان «لِ»، أو «بِ».

لقد كان تطورًا مهمًّا، ذلك الذي تَمثَّل في الانتقال من تعبير خطِّي بالألف عوضًا عن ألف مقصورة في حرف «على»، وتُظهرُ المقارنة بين الصفحة ٢٥ ٢٥ من مصحف Parisino-petropolitanus وإحدى ورقات مصحف صنعاء تعبيرًا خطيًّا لاسم الفاعل: «فاعِل» الذي يتضمن الألف بشكل منتظم.

F. Déroche, op. cit. p,.56-59 .. (1)



بالمقابل نجد بعض الجموع قد كتبت بإملاء ناقص، وذلك مثل «أعجاز» (٢٩:٧)، أو «أرجائها» (٢٩:٧)، لكن جموعًا أخرى توافق الاستعمال الراهن.

من خلال مقابلة المخطوط مع طبعة القاهرة لاحظتُ أنَّ الناسخ كان يستعملُ «ألفًا» في اللحظة التي تُؤْثر فيها النسخة المطبوعة ألفًا مرتفعة [أي رُسمت أعلى الكلمة]: (انظر: ثمانية (٦٩:١٩))، و: كتابه/ كتابيه في (٦٩:١٩)).

إننا نخرج من مطالعة بعض أوراق من مصحف CBL 1404 بانطباع متناقض شيئًا ما: فبالنسبة لمصحف Parisino-petropolitanus هيمنت الكتابة المكتملة la scriptio plena بخصوص «قال»، وكُتبت «شيء» بدون ألف، وأحيانًا نجد علامة المد «۱» هي قد ترسخت في الرسم، أكثر مما هي عليه في الطبعة المعاصرة.

بالرغم من أن الأوراق المعادة لا تتضمن مثالًا عن الجمع «آيات» مسبوقًا بالحرفين «لِ»، أو «بِ»، فإنَّ مثالًا للمفرد «بآية» يستتبعُ أن تعبيرًا خطيًّا بثلاث أسنان صغيرة كان تقليدًا راسخًا.

وفي الختام ينبغي أن نسجل بادئ ذي بدء أنَّ الفترة الأموية كانت أشدَّ تعقيدًا مما يمكن أن توعز به المجموعات التي أتينا على وصفها؛ فإننا لم نأخذ بعين الاعتبار عددًا من العوامل الثابتة نظرًا لعدم المعطيات بخصوصها.

علينا أن نتفادى على وجه الخصوص الرأي الذي يصور لنا أنه كان ثمة عبور مُجمَع عليه من نوع إلى آخر؛ ذلك أنه وُجدت لا محالة تفاوتات بين المراكز الحضرية المهمّة والمناطق النائية جدًّا.

ما نعرفه عن هذه الفترة يدعونا أيضًا إلى أن نُقدِّر جواز أن تكون بعض الجماعات حريصة على المحافظة على الاستعمالات القديمة.

في نهاية هذه الفترة التي تشغلنا هنا، سنرى الإمام مالكًا يدين عددًا من الممارسات التي ظهرت آثارها في المخطوطات التي رأينا من قبل(١).

ومن جهة أخرى، فقد تعمدتُ أن أتركَ مسألة المصاحف المستطيلة: إن نسخًا بهذه الأبعاد وتحمل كتابات من المجموعتين الأوليين اللتين عرضتُ آنفًا يقتضي أن تكون قد جاورت المصاحفَ العمودية خلال هذه الفترة، وهو ما يؤكد تعقد الوضع.

تبيّنُ المخطوطات القرآنية أنَّ ممارسة جديدة في الكتابة قد رأت النور، يطبعها قبل كلّ شيء سمة الضبط وتوحيد الأنماط، في حين أن النُّسخ التي تنتمي إلى الأسلوب الحجازي تعكس تنوع العادات الشخصية للناسخين، وأما تلك التي تنتمي إلى المرحلة التالية فيمكن التعرف عليها من خلال قدرة أولئك الذين أنجزوها على التقيد بنموذج معين، وذلك ثمرة عملية إرساء صيغة من صيغ الضبط. لا تقول التسجيلاتُ الرسمية والعملات النقدية أي شيء آخر.

ماذا كانت الصيغة إذًا؟

إذا استثنينا الإحالة على «صاحب المصاحف» للوليد، والتي لا يخلو تأويلها من صعوبة؛ فإنَّ المصادر لا تخبرنا بشيء حول الموضوع (٢).

ولنا أن نتساءل عن النماذج التي من المفترض أن يكون الحَجَّاج قد أنجزها ليبعث بها إلى مختلف الحواضر (على افتراض أن الأمر لا يتعلق ها هنا بموضوعة

⁽١) انظر مثلاً:

A. Jahdani, Quelques opinions de Malik (m. 179/796) sur le Coran-codex,) [Actes de la conférence internationale sur les manuscrits du Coran (Bologne, 26–28 septembre 2002)], Mélanges de l' Université Saint-Joseph 59 (2006),p. 274-276..

⁽٢) أو أكثر اقتضابًا؛ فالنصوص التي نتوفر عليها تمنحنا معلومات ينفر الأولون من بسطها بين يدي القراء.

مكرورة un topos)، هل يا ترى أُنجزت تحت إشراف رسمي؟ (١) أو بتعبير آخر، إصلاحُ الخط الذي يُعَدُّ حقيقة لا يجوز التنكّر لها، هل اقترن بإرساء محلات نسخ رسمية scriptoria officiels، بحيث يكون النساخ قد جرى تدريبهم على مزاولة أساليب جديدة، ومن ثم أثروا في إنتاج السوق، وهو الإنتاج الذي تمثل في هذه النسخ صغيرة الحجم التي ألمعنا إليها أعلاه؟

هل يتحتم علينا أن نتصور أنَّ تدوين المصاحف القرآنية، وخاصة تلك التي أنجزت بطلب من نخبة الإمبراطورية لأغراض عمومية قد مرَّ بين أيدي متدخلين آخرين؟ هل حدث في هذه الفترة تحوُّل في استعمال المخطوطات القرآنية؟

من المناسب أن نسجل أن الأساليب الجديدة لم تحدث انقطاعًا فحسب على صعيد جمالي من خلال إدخال الكتابة العربية في مجال فنّ الخط؛ إنها تمثّل تحولًا تقنيًّا بالنظر إلى أنَّ الأداة المستعملة، أو التقنية المستخدمة لإنجاز حروف أكبر سمكًا لم تعد تربطها أي صلة بما كان يتم في الفترة السابقة.

بعبارة أخرى، إنَّ إصلاح الخط الذي كان يرمي إلى تنظيم مظهر الحروف اقترن -ربما في مرحلة تالية- مع تحوّل أو ابتكار مادي. والسؤال المطروح هو من كان يا ترى هؤلاء الصنَّاع؟

Eché, Y., Les bibliothèques publiques et semi-publiques en Mésopotamie, en Syrie (1) et en Egypte au Moyen Age, Damascus, 1967.p. 18.

وقد اقترح المؤلف محاولة تقريب بين شخص يدعى سعدًا، ورد اسمه في الفهرست: K. al-Fihrist, éd. R. Tajaddud, Tehran, 1350/1971, p. 9.

والذي ترجم إلى الإنجليزية بعنوان:

B. Dodge, The Fihrist of al-Nadîm, A tenth-century survey of Muslim culture I, New York/London,1970.

شخص آخر نوه به السمعاني، انظر:

⁽K. al-ansāb, éd. Hyderabad, t. XII,1400/1981, p. 284).

كان هنالك مظهر آخر من مظاهر ضبط النصّ تمثّل في الحسم الحسابي لعناصره المكونة.

قد علمنا العملية التي جرت بأمر من الحَجَّاج (١)، نلاحظ فعلًا في المخطوطات اختلافًا بين المصاحف القديمة جدًّا، حيث لا تتم الإشارة إلا إلى رؤوس الآي، والمصاحف التي جاءت بعد الإصلاح حيث نَجد الإشارة إلى المجموعات الخماسية والعشرية. تبدو النسخ ذات الحجم الصغير أقل تأثرًا بهذا التجديد الذي يمكن أن يتطابق مرة أخرى مع إنتاج رسمي.

يمثل إدخالُ الزخارف على شكل أشرطة قصد فصلِ السورِ بعضها عن بعض، يمثل هو الآخر تجديدًا.

نلاحظ أن هذا العنصر خالٍ من أي عنوان، والزخارف المحتفظ بها -والتي كانت ملء الصفحة- كانت هي الأخرى غير مسجلة، وخالية من كل عنوان: anépigraphique.

إنّ وظيفة ملء الحيِّز الفارغ بين السور، والذي يبدو أنه في أقلّ تقدير لم يكن يقلّ درجة عن تزيين النسخة، يمكنُ تقريبه من عادة ملء نهايات السطور. كلّ أولئك كان بهدف إزالة الفضاءات الفارغة، وتقترب من ثُمَّ منَ الإطارات التي يشهد عليها على الأقل مخطوطان من هذه الفترة، وهما اللذان سأعود للحديث عنهما.

مسَّ الإصلاح أيضًا الإملاء، كما مسَّ بشكل عام مقروئية النسخ. لقد استطعنا أن نلاحظ أن الإملاء الذي يمثله مصحف Parisino-petropolitanus يُخلي المكانَ لنسخة أقلَّ نقصًا عبر تغيير الرسم، وهي التغييرات التي كما تمثلت في إضافات فقد تمثلت أيضًا في حذوفات.

^{.0.} Hamdan, op. cit., p. 146-148 : انظر (١)



إنَّ استعمال علامات الشكل، وإن لم يكن منتظمًا، فقد كان يتطور بشكل جوهري. أما بخصوص الحركات، فيمكن أن تكون قد انطلقت منذ نهاية القرن الأو ل^(۱).

هذه الإضافات المختلفة كانت تساعد على الحدِّ من هامش اختيار المستعمل وتأويله.

وحقًّا، فقد كان استظهار النصِّ عن ظهر قلب يحتلُّ مكانةً مهمّةً، بيد أنَّ قرار إدخال هذه التعديلات الإضافية في المصاحف -وإن أدَّى ذلك إلى التخلى عما كان يجري عليه العمل سابقًا- يبين أنه كان ثمة رهان عظيم، زد عليه أن هذه التعديلات لم تكن لتمضي دون ظهور مواقف مناوئة.

بالرغم من أنَّ المصاحف من الطراز الحجازي كانت تتوفر سلفًا على هوية بادية للعيان بفضل عددٍ من اختيارات العرض، التي استعيدت بشكل مُجمَع عليه في الشواهد التي نملكها، فإنّ المصاحف التي نسخت لاحقًا قد مضتْ بعيدًا في هذا الاتجاه.

وعلاوة على الكتابة الخاضعة لمعايير، فقد لاحظنا أيضًا وجود مجموعتين من المصاحف المنسوخة التي نسخت إحداها بوتيرة خمسة وعشرين سطرًا في الصفحة، والأخرى بوتيرة عشرين سطرًا، سواء تعلق الأمر بمصاحف من الرتبة الأولى، والتي يمثلها مصحف مارسيل ١٣، أو من الدرجة الثانية والدائرة حولَ دار المخطوطات Inv. 20-33.1 فإنَّ ما يميزها بوضوح

⁽١) إنَّ الأنظمة المستندة إلى استعمال نقطٍ ملونةٍ هي أنظمة قديمةٌ، ولكن لم تنجح أي منهجية في تحديد زمن إدخالها تحديدًا دقيقًا. اليقين الوحيد -على هزاله- هو أنها لاحقة على الرسم، والصعوبة كلها في بسط كيف وقع ذلك.

كبير عن سابقاتها من الطراز الحجازي هو أنَّ لها جميعها هوامش مهمّة، وهو التجديد الذي يغيب عنا مغزاه(١).

ينبغي مع ذلك أن نُلاحظ أنّه في نسختين؛ أحدهما في صنعاء، والأخرى في القيروان، كان النصّ موضوعًا داخل إطار، هذا الإطار غير زخرفي كما هو الحال في Inv. 20-33.1، حيث لا يوجد إلا في بداية المجلد وخاتمته. يتعلق الأمر ها هنا بعنصر يشكّل جزءًا من تهيئة الصفحة، ووجَبَ إذًا أن يكون له دورٌ ما، هل كان يا ترى نقلًا لطريقة العرض القديم حيث كان النصُّ يملأ الصفحة كلها؟

ربما ينبغي ربط هذا العنصر في ارتباط بالشغل الشاغل الذي تَرجمَت عنه عملية حصر العناصر المكونة للقرآن، ألا وهو منع كلّ تغيير للرسم القائم آنئذ.

إذا نظرنا من زاوية تاريخيّة؛ فإنّ ما نَعْلَمه عن الإمبراطورية الأُموية يتطابق تمامًا مع شهادة المخطوطات، يُمكن ربط مشروع ضبط النصّ الذي ارتبط بشخصيات أمثال عبيد الله بن زياد أو الحجاج بإدخال الفواصل بين مجموعات الآيات وتعديلات الإملاء، أو أيضًا بإدخال إشارات خطية محددة. ويمكن أيضًا فهم هذه النقطة الأخيرة على أنّها إحدى نتائج مبادرات عبد الملك المتمثلة في منح ديوانه خاتمًا عربيًا خالصًا.

لا تصل هذه النقطة الأخيرة إلى الأبعاد الضخمة لنسخ مجموعة Inv. 20-33.1 التي لا يتأتّى تفسيرها من خلال إمكانية تعبئة موارد مالية معتبرة في سياق إعادة التنظيم تحت إمرة الأمويين.

⁽۱) يبقى أن نعالج عن كثب الحالة التي تقدمها لنا نسخٌ من الطراز الحجازي، وتتوفر على هوامشَ بأبعاد قريبة من أبعاد مارسيل ۱۳، والتي كانت تلجأ إلى خطوط دقيقة في آخر السطر، على غرار مصحف صنعاء، دار المخطوطات Inv. 00-30.1 نظر مثلًا:Masahif San'a;p. 53, 53, n° 24.



ترجمات

لقد اقترنَ إنشاءُ مَعَالم ضخمة مثل قبة الصخرة الصخرة إنشاء مُعَالم ضخمة مثل بإنجاز نسخ قرآنية ضخمة، يُمكنُ أنْ ننظر إليها بصفتها أعمال دعاية عظيمة للاستعمال في الداخل والخارج على حدِّ سواء؛ فأما في الداخل فمن أجل المجتمعات المسلمة التي كان يتحتم ضمان إخلاصها، وأمَّا في الخارج فباعتبار هذه الدعاية توكيدًا رمزيًّا على الوحي بصفته رسالة الله الخاتمة.

انتهى







- A.J. Arberry, The Koran illuminated. A handlist of the Korans in the Chester Beatty Library, Dublin, 1967.
- Blair, S., Islamic calligraphy, Edinburgh, 2006.
- H.C. von Bothmer, Architekturbilder im Koran. Eine Prachthandschrift der Umayyadenzeit aus dem Yemen, Pantheon 45 (1987), pp. 4–20.
- Karl-H. Ohlig and Gerd-R. Puin, "Neue Wege der Koranforschung," Magazin Forschung 1 (1999), pp. 33–46.
- F. Déroche, op. cit. (1983), pp. 144–145, no 268; id., Colonnes, vases et rinceaux. Sur quelques enluminures d'époque omeyyade, Académie des inscriptions et belles-lettres, Comptes rendus des séances de l'année 2004 [2006], pp. 227–264.
- La transmission écrite du Coran dans les débuts de l' islam.
 Le codex Parisino-petropolitanus, [Texts and studies on the Qur'ān 5] Leiden-Boston, 2009.
- Les manuscrits du Coran: Aux origines de la calligraphie coranique [Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, 2e partie, Manuscrits musulmans, I/1], Paris, 1983, pp. 70-74.
- New evidence about Umayyad book hands, in Essays in honour of Salāh al-Dīn al-Munajjid [al-Furqan publication, n: 70], London, 2002, pp. 629–642.



- Un critère de datation des écritures coraniques anciennes: le kāf final ou isolé,Damaszener Mitteilungen 11 (1999), pp. 87-94 and pl. 15-16.
- B. Dodge, The Fihrist of al-Nadîm, A tenth-century survey of Muslim culture I, New York/London,1970.
- Dutton Y., An Umayyad fragment of the Qur'an and its dating, Journal of Qur'anic studies 9–2 (2007), p. 57-87.
- Some notes on the British Library's "Oldest Qur'an manuscript" (Or. 2165), Journal of Qur'anic studies 6 (2004), pp. 43–71.
- Piotrovsky, M.B., and J. Vrieze eds. Earthly beauty, heavenly art. Art of Islam, Amsterdam, 2000. De Nieuwe Kerk, 2000.
- Eché, Y., Les bibliothèques publiques et semi-publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age, Damascus, 1967.
- Fraser, M., and W. Kwiatkowski, Ink and gold. Islamic calligraphy, paul Holberton Publishing, 2006.
- O. Hamdan, Studien zur Kanonisierung des Korantextes.
 Al-Hasan al-Başris Beiträge zur Geschichte des Korans,
 Wiesbaden, 2006, Harrasowitz, 2006.
- Ibn al-Nadim, Kitab al-Fihrist ,Téhéran,éd. R. Tağaddud, , 1350/1971.
- A. Jahdani, Quelques opinions de Malik (m. 179/796) sur le Coran-codex,) [Actes de la conférence internationale sur les manuscrits du Coran (Bologne, 26–28 septembre 2002)], Mélanges de l' Université Saint-Joseph 59 (2006),p. 274-276.



- James D. L., Qur'ans and bindings from the Chester Beatty Library, A facsimile exhibition ,] s. l. [, London, 1980, p. 23, n°10.
- M. Jenkins, A vocabulary of Umayyad ornament, in Maṣāḥif Ṣanʿāʾ, Koweït, 1985, pp. 19–23.
- Landes, C., and H. Ben Hasseneds, Tunisie: du christianisme à l'islam. IVe-XIVe siècle, Paris, Lattès, 2001.
- Rabb I.A., Non-Canonical Readings of the Qur'ān: Recognition and Authenticity (The Ḥimsī Reading), Journal of Qur'anic Studies, vol. 8, no. 2, 2006, p. 84-127.
- Rezvan E., On the dating of an "'Uthmanic Qur'ān" from Saint Petersburg, Manuscripta Orientalia 6–3 (September 2000), pp. 19–22.
- Al-Sam'ānī, Kitāb al-ansāb, ed. Hyderabad, 1400/1981.
- Sourdel J. et D., "Nouveaux documents sur l'histoire religieuse et sociale de Damas au Moyen Âge. Stratégie politique et religiosité populaire sous les Bourides," REI 32 (1964),pp. 6–8.
- Whelan E., Writing the word of God I, some early manuscripts and their milieu, Part I; Ars Orientalis 20 (1990),p. 113-147.

